تأسيس علم السياسة عند ابن رشد

يونس الديهاجي
المشرف: الأستاذ أحمد مصلح
مختبر الإنسان والقيم والمجتمعات، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة ابن طفيل بالقنيطرة
المملكة المغربية

الملخص:

يحتفل العالم العربي الإسلامي ومعه العالم الغربي بمرور تسعمائة سنة على ولادة ابن رشد[1]، الذي شكلت فلسفته ذروة الفلسفة في الغرب الإسلامي وتتويجا لمسار فلسفي في العالم العربي الإسلامي بدأ مع الأعمال الأولى: للكندي[2]، والفارابي[3]، وابن سينا[4]، والغزالي[5] في المشرق، وابن باجة[6]، وابن طفيل[7] في المغرب، وتكمن قوة ابن رشد في انتشار أفكاره بعد وفاته خارج الأندلس نحو أوروبا الوسيطية، الأمر الذي سيخلق له أتباعا سيكون لهم الباع في كلية الصنائع بباريس مثلا، حيث سيمدون الفلسفة المسيحية بإطارات نظرية تدافع بها عن اختيارات عقدية معينة الأمر الذي خلق مقاومة لأفكاره، حتى بلغ

[1] "محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، ويكنى أبا الوليد..ولد صباحا في مدينة قرطبة، في سنة 520ه الموافق 1126م ... وتوفي سنة 595ه الموافق 1198م" بدوي عبد الرحمن، **موسوعة الفلسفة**، الدراسات العربية للنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، الجزء الأول، 1984، ص 19.

[2] "أبو يوسف يعقوب ابن إسحاق الكندي، ولد في الكوفة مطلع القرن التاسع الميلادي(ربما سنة 185 ه/ 796م) وتوفي في بغداد حوالي سنة (260ه/872م)"طرابيشي جورج، **معجم الفلاسفة"الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون– اللاهوتيون– المتصوفة"**، دار الطليعة بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 2006، ص 528.

[3] "أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي، ولد في واسج... ومات في دمشق في 229ه/ 950م" جورج، **معجم الفلاسفة"الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون– اللاهوتيون– المتصوفة"**، نفس المرجع، ص 449.

[4] أبي علي الحسين بن عبد الله ابن سينا، ولد في قرية أفشنة من أعمال خرميتين، قرب بخارى، عاصمة السمانيين، في شهر صفر سنة 270 ه وتوفي في همدان في إيران سنة 428ه،" طرابيشي جورج، م**عجم الفلاسفة"الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون– اللاهوتيون– المتصوفة"**، نفس المرجع، ص 26.

[5] الغزالي أبو حامد محمد، فيلسوف ومتكلم وفقيه ومتصوف عربي، من أبرز مفكري العصر الذهبي الإسلامي، لقبه أبناء دينه ب"حجة الإسلام" ولد في طوس بخرسان(شمال شرقي فارس) سنة 1059م (450 ه) ومات فيها في 19 كانون الأول 1111(501)" طرابيشي جورج، **معجم الفلاسفة"الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون– اللاهوتيون– المتصوفة"**، نفس المرجع، ص 429.

[6] ابن باجة، أبو بكر محمد، فيلسوف عربي أندلسي، ولد في سرقسطة في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وتوفي في فاس سنة 533/ 1138م"طرابيشي جورج، **معجم الفلاسفة"الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون– اللاهوتيون– المتصوفة"**، نفس المرجع، ص 18.

[7] ابن طفيل، أبو بكر محمد بن عبد الله بن عبد الملك بن طفيل، ولد في قادش نحو سنة 494ه/1100م، وتوفي في مراكش بالمغرب سنة 570ه/ 1185م"طرابيشي جورج، **معجم الفلاسفة"الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون– اللاهوتيون– المتصوفة"**، نفس المرجع، ص 30.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام لغير التجارة بنسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

الأمر لمنتقديه إلى استصدار إدانة مثل إدانة سنة 1277 من طرف القس إيتيان تمبي، أو محاربة فلسفته المشائية من طرف طوما الأكويني[1]، الأمر الذي يؤكد قوة النسق الفلسفي النظري الذي أسسه ابن رشد.

لكن ابن رشد ليس هو الجانب النظري فقط بل هنالك جانب عملي أخلاقي وسياسي كذلك يتميز به، لهذا سأعمل في هذا المقال على توضيح كيف أسس ابن رشد لممارسة سياسية داخل المجال الإسلامي الذي يرى في الدولة مكان للأفراد يتعايشون فيه وفق شريعة مترلة تحدد أدوار الأفراد داخلها من جهة وعلاقتهم بالحاكم من جهة أخرى، وذلك من خلال طرح السؤال التالي: كيف تمكن ابن رشد من تبيئة الممارسة السياسي داخل الغرب الإسلامي عبر الفلسفة وليس عبر الدين؟

الكلمات الفاتيح : العلم الطبيع، الدول، النفس الإنسانية، الميتافيزيقا، البرديغم الطبي.

[1] "فيلسوف ولاهوتي من أصل إيطالي، كتب باللاتينية. ولد بين نهاية عام 1224 وبداية عام 1225 في قصر روكازيكا على مقربة من آكوينو(إيطاليا الجنوبية) ومات في فوسانوفا، على مقربة من تراشينا، في 7 مارس 1274"طرابيشي جورج، **معجم الفلاسفة"الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون– اللاهوتيون– المتصوفة"**، نفس المرجع، ص 241.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري بنسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مقدمة:

يشكل كتاب"الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون"[1] لابن رشد لحظة مهمة في تاريخ الكتابة السياسية في الفلسفة الإسلامية، ذلك لما يقدمه من أفكار وتصورات وحلول واقعية مرتبط بواقع الدولة الإسلامية آنذاك، فلم يعمل ابن رشد على التنظير لما ينبغي أن يكون للدولة وإنما عمل على بناء ما هو كائن وإصلاحه لها من موقعه كفيلسوف، لهذا سيستعين بالنصوص اليونانية المؤطرة للممارسة السياسية خاصة كتاب"الجمهورية " لأفلاطون[2] الذي سيعمل على اختصاره.

فابن رشد الشارح الأرسطي، استطاع بحنكته الفلسفية أن يقدم لنا مختصرا مبنيا بناءا استدلاليا برهانيا، ليس ككتاب أفلاطون المبني على شكل محاورة قائمة على الاستدلال الجدلي والخطابي وهي عادة أفلاطون في الكتابة، فقد لخص ابن رشد كتاب"الجمهورية" لأنه لم يجد كتاب "السياسة" لأرسطو[3] في الأندلس، كما أن الأحداث والوقائع السياسية، والفكرية، والمذهبية التي كانت آنذاك بالأندلس والتي كانت تتداخل فيما بينها، والتي كان لها انعكاس مباشر على المجتمع الأندلسي، من بين الأشياء التي دفعته دفعا إلى أن يدلية بقول في السياسة، هذا من جهة ومن جهة أخرى، النسق الفلسفي في تلك اللحظة لا يمكن النظر إليه مكتملا إلا بالتوفيق بين الجانب النظري والجانب العملي، لهذا كان لا بد له من قول فلسفي في السياسة ولو من باب الاختصار، حتى لو كان اختصار أحد نصوص أفلاطون، فابن رشد لا ينظر لأفلاطون مثلما ينظر إلى أرسطو، لكن وبما أن النص الأرسطي السياسي كان مفقودا في بلاد الأندلس اختار أن يمر إلى المعلم الأول عبر أفلاطون، كما أن ابن رشد حاول أن يكون له موقف سياسي مثل الذي عبر عنه ابن باجة في نصه "تدبير المتوحد" وابن طفيل في نصه "حي بن يقظان"، الأمر الذي يدفعنا إلى طرح الأسئلة التالية" كيف استطاع ابن رشد بناء مفهومه للسياسة؟ وكيف مكنها من موقع داخل نسقه الفلسفي؟

أولا: العناصر المؤسسة لنص"مختصر السياسة"

من أجل الإجابة عن هاته الأسئلة لابد في البداية من معرفة عناصر النص وكذلك الموضوعات التي تطرق إليها، يتشكل كتاب "مختصر السياسة[4]" من مقدمة وثلاث مقالات تختصر عشرة كتب من كتاب "الجمهورية" لأفلاطون[5]، وكل مقالة في المختصر تتضمن عنوانا وعدة فقرات، أي نعم العناوين هي من وضع المترجم لأن الأصل العربي للكتاب مفقود، لكنها متوافقة مع نص الكتاب لأن الأستاذ أحمد شحلان المترجم والمحقق اعتمد على النسخة العبرية للنص الأصلي فكانت إضافاته ضرورية لتيسير تناول النص وفهم مقاصده، وكذلك حتى الترجمة العربية التي وضعها الأستاذان حسن مجيد وفاطمة الذهبي والمعنونة

---

[1] ابن رشد، **الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**، نقله عن العبرية إلى العربية الدكتور أحمد شحلان، مع مدخل و مقدمة تحليلية للمشرف على المشروع الدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الرابعة 2015.

[2] "أعظم فيلسوف في العصر القديمة. وربما في الأزمنة قاطبة. ولد بعيد وفاة بريكليس، نحو عام 427 ق.م، من أسرة أرستقراطية أثينية، ... ومات أفلاطون عن ثمانين حولا، نحو عام 347، فيما كان يحرر كتابه القوانين/ طرابيشي جورج، **معجم الفلاسفة"الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون– اللاهوتيون– المتصوفة"**، مرجع سابق، صص 71-72.

[3] "ولد أرسطو في اسطاغيرا وهي مدينة صغيرة في شبه الجزيرة الخلقيدية سنة 383 ق.م وتوفي في خلقيس سنة 322 ق.م" طرابيشي جورج، **معجم الفلاسفة"الفلاسفة– المناطقة– المتكلمون– اللاهوتيون– المتصوفة"**، مرجع سابق،ص 52.

[4] يقول الأستاذ محمد مساعد" لا نعلم السبب الذي من أجله لم ينتبه العلوي و لم ينبه غيره، من ثم على إمكانية انتماء هذا الكتاب إلى جنس الكتابة المختصراتية لدى ابن رشد"مساعد محمد، **المستدرك على المتن الرشدي**، دفاتر مختبر الفاعليات الفلسفية والاجتماعية والثقافية، مطبعة مرجان ، مكناس، العدد 3، 2017، ص 94.

[5] أفلاطون، **الجمهورية**، دراسة و ترجمة فؤاد زكرياء، دار الوفاء لدنيا الطبع و النشر، 2004.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام لغير التجارة بنسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ب"تلخيص السياسة لأفلاطون"[1]، والذي اعتمدا فيها على الترجمة الإنجليزية التي أنجزها روزونتال، فهي الأخرى تتضمن ثلاث مقالات مع عناوين فرعية لتسيير الفهم، غير أن العناوين في النصين مختلفين عن بعضهما البعض [2]، وهذا الأمر يطرح صعوبة من مصاعب التحقيق والمتمثلة في حدود سلطة المحقق على النص.

ففي مقدمة "المختصر"المعنونة ب"موضوع الكتاب ومنهجه"[3]، تتضمن فقرة واحدة، يؤكد فيها ابن رشد مقصده من هذا الكتاب، والمتمثل في تجريد الأقاويل العلمية التي توجد في كتاب الجمهورية لأفلاطون، أي البحث عن العناصر الضرورية التي تؤسس لهذا العلم والتي يحتاج إليها كل من سيتناوله، مع حذف الأقاويل الجدلية الغير النافعة له، سالكا في ذلك سبيل الاختصار، مع ترتيب يناسب عناصر هذا العلم، مع تحديد موضوعه والترتيب الذي يتبع فيه وذكر فوائده، وأغراضه، وأقسامه[4]، فهاته هي عادة ابن رشد دائما عندما يتناول علم جديد يبدأ في تحديد موضوعه وتحديد مقصده منه وعلاقته بالعلوم الأخرى، وهو بذلك يريد أن يجد له مكان ضمن الفلسفة باعتبارها العلم الكلي، ويضمن عبر ذلك التحديد الانتصار للفلسفة والعلم الحق كما تجليا عند أرسطو.

في المقالة الأولى من المختصر والمعنونة ب" تشييد المدينة الفاضلة"، فأول عنوان نصادفه "العلم المدني: نسبته إلى العلوم الأخرى"[5]. حيث يتحدث فيها ابن رشد عن تأسيس العلم المدني، وإدراجه ضمن العلوم، ويكون بذلك جزءا لا يتجزأ منها، وهذا ما لا نجده عند أفلاطون في نص "الجمهورية" الذي لم يرى ضرورة تأسيس العلم المدني، معتبرا إياه امتداد للفلسفة النظرية، كما أن تصنيف العلوم وترتيبها لم يوضع إلا مع أرسطو، لهذا وانسجاما مع أرسطيته سيعمل ابن رشد على تأسيس العلم المدني من خلال تحديد موضوعه ومنهجه وأهدافه وغاياته بل الأكثر من ذلك تحديد علاقته ومنزلته بالنسبة للعلوم الأخرى.

ثانيا العلاقة ما بين العلم النظري والعلم العملي في تأسيس لعلم السياسة.

وجد الفارابي المعلم الثاني علاقة ما بين الجانب الميتافيزيقي والجانب العملي خصوصا السياسة، حيث عمل على"الربط ما بين ما بعد الطبيعة والمدينة الفاضلة ربطا محكما لا يخلو من جمال، لتأكيده على وحدة الكون وترابط أجزائه وجمال بنائه وضرورة تشييد صرح المدينة الفاضلة على غراره، ذلك أن الفارابي عمل على الدمج السياسة المدنية في نظريته الميتافيزيقية"[6]، في المقابل سيعمل ابن رشد على تحرير السياسة من الميتافيزيقا، لذلك أكد على وجود تباينا واضحا بين العلم المدني والعلم النظري: من حيث الموضوع، والمبادئ، والغاية، فموضوع العلم النظري هو "ما لا يمكن أن يكون على غير ما هو عليه" أي الحقائق والعلاقات المستقلة عن الإرادة الإنسانية والتي لا تتطلب منا إلا مجرد إدراكها[7]، والفلسفة النظرية تقدم معارف من

---

[1] ابن رشد، **تلخيص السياسة لأفلاطون "محاورة الجمهورية"**، نقله إلى العربية حسن مجيد العبيدي وفاطمة كاظم الذهبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1998.

[2] "ففي ترجمة الأستاذان حسن العبيدي وفاطمة الذهبي مثلا في المقالة الأولى العنوان الفرعي الذي اقترحه هو "عناصر المدينة الفاضلة ودستورها" بخلاف الأستاذ أحمد شحلان العنوان الفرعي للمقالة الأولى هو تأسيس العلم المدني"

[3] ابن رشد، **الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**، نفس المصدر، ص 71.

[4] ابن رشد، **الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**، نفس المصدر، ص 71.

[5] يذكر أ. شحلان أنه هو من وضع العناوين، ابن رشد، **الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**، نفس المصدر، ص 71 .

[6] الحداد عزيز، **ابن رشد وإشكالية الفلسفة الإسلامية في الإسلام**، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2010.

[7] تايلور ألفريد إدوارد ، **أرسطو**، رجمة عزت القرني، دار الطليعة بيروت، الطبعة، الأولى، أبريل، 1992، ص 23.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام لغير التجارة بنسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

شأنها أن يعلمها الإنسان دون أن يكون عليه أن يعملها، والمقصود الأول منها هو "العلم لذات العلم"" لأن هدفها هو التأمل العقلي المحرر من الغرض للحقائق التي هي مستقلة عن إرادتنا وغايتها هي المعرفة والمعرفة وحدها[1]، ويشمل هذا العلم على: علم ما بعد الطبيعة أي الفلسفة الأولى، وعلوم التعاليم(الحساب والهندسة والفلك والموسيقى) وعلوم الطبيعة(الطبيعيات العامة والعلوم المتخصصة في الظواهر الطبيعية المختلفة بما في ذلك علم النفس والطب)، أما موضوع العلم المدني أي الفلسفة العملية فإنه العلم الذي يهتم بالعلاقات التي يمكن للإرادة الإنسانية أن تتدخل لتعدل منها، وهي "الأشياء التي يمكن أن تكون على غير ماهي عليه"[2] أي الأفعال الإرادية التي تصدر عنا، أما مبادئها فهي الإرادة وحرية الاختيار، وأقسام العلم المدني تنقسم إلى قسمين: الأول علم الأخلاق الذي تذكر فيه الملكات والأفعال الإرادية والعادات جملة، والكتاب الذي يفحص هاته العناصر في نظر ابن رشد هو المعروف ب"نيكوماخيا"[3]لأرسطو، أما القسم الثاني فهو علم السياسة الذي يفحص فيه عن الكيفية التي ترسخ بها هذه الملكات في النفوس وكيف تعمل ملكة في أخرى حتى يكون الفعل الحاصل من الملكة المقصودة على أكمل وجه، وأي ملكة تكون كالعائق لغيرها، والكتاب الذي يدرس هاته المواضيع المعروف بكتاب "السياسة" لأرسطو وأيضا في كتاب أفلاطون[4]، أما الغاية من العلم العملي فهو تحويل المعرفة لتكون مفيدة لسلوكنا الذي نتوجه به نحو الغير.

إن تأسيس علم السياسة عند ابن رشد بهذا الشكل الذي تم ذكره سابقا وجعله جزءا من البناء العلمي الذي وضعه أرسطو، يجب في نظره أن يقف على نقطتين أساسيتين: النقطة الأولى، أن يجد للسياسة مكانة داخل العلوم وربطها معها بعلاقة، أما النقطة الثانية، بناء السياسة على شكل خطاب علمي برهاني باعتبارها علما، فكيف تحضر هاتين النقطتين عنده؟.

بالنسبة للنقطة الأولى يتفق كل الدارسون[5] على أن ابن رشد سيحتفظ بتصنيف العلوم الذي خطه أرسطو. مادامت العلوم لم تعرف تحولا إبستمولوجية في تلك اللحظة وبقيت محتفظة بنفس البناء الذي أسس منذ أرسطو، بحيث أنه كان يميز فيها بين نوعين من العلوم: العلوم النظرية والعلوم العملية، وأن هذين النوعين من العلوم يختلفان عن بعضهما البعض من حيث الموضوع والمبادئ والغايات، لكن بالرغم من تلك الاختلاف فإنهما متصلان، وحلقة الوصل بينهما هي علم النفس الذي هو جزء من العلم الطبيعي الذي ينتمي إلى العلوم النظرية[6] كما أنه متصل بالعلوم العملية وخاصة الأخلاق، فالنفس بالنسبة لابن رشد لها علاقة مباشرة بالعلم الطبيعي حيث تنبني على نتائجه يقول ابن رشد في "رسالة في النفس" " الغرض هاهنا أن نثبت من أقاويل المفسرين في علم النفس، ما نرى أنه أشد مطابقة لما تبين في العلم الطبيعي"[7].هذا الأمر جعل النفس جزءا وامتدادا للعلم الطبيعي، بحيث يتأسس علم النفس على النتائج التي تم التوصل إليه في العلم الطبيعي، وكأن علم الطبيعة يقدم لعلم النفس المقدمات الأساسية له.

---

[1] ابن رشد، **الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**، نفس المصدر، ص 22.

[2] ابن رشد، **الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**، نفس المصدر، ص 23.

[3] ابن رشد، **تلخيص أخلاق أرسطو(الأخلاق إلى نيقوماخوس)**، ترجمه من العبرية وحقق نصه وقابله بالأصل الإغريقي أحمد شحلان، مطبعة GraphoPub، الرباط، الطبعو الأولى، 2018.

[4] ابن رشد، **الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**، نفس المصدر، ص 73 .

[5] أقصد هنا محمد الجابري، علي العتيبي و كمال مساعد و غيرهم.

[6] يرى الأستاذ جمال الدين العلوي في مقال بعنوان" إشكال العلاقة بين العلم الطبيعي و ما بعد الطبيعة عند ابن رشد" إن العلاقة بين العلوم الطبيعية والعلوم ما بعد الطبيعة علاقة صعود و نزول، فالعلم الطبيعي يدرس الموجودات الطبيعية و نتائج هاته الدراسة يصادر عليها العلم ما بعد الطبيعة، و أن هذا الأخير يقدم للعلم الطبيعي المبادئ العامة التي يوظفها في دراسته للموجودات الطبيعية".

[7] ابن رشد، **كتاب النفس**، ضبط وتعليق: موفق فوزي الجبر، دار التكوين للطباعة والنشر، الكويت، 2006.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام لغير التجارة بعنسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

داخل كتاب النفس يرى ابن رشد أن الإنسان مكون من نفس وبدن، أي من صورة ومادة والنفس "كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة "[1]، لكن سينظر ابن رشد إلى ثنائية النفس والبدن من منطلق الوحدة القائمة بينهما باعتبار النفس صورة للجسم أي كماله وماهيته، فما يلاحظ بهذا الصدد كما يقول الأستاذ محمد المصباحي" تميز القول الرشدي بصدد النفس بصفة عامة بولائه العميق لنظرية الصور المادية أو نظرية الكمال، و حرصه على بناء مقاله السيكولوجي على مبادئ ومفاهيم فزيائية وبيولوجية في الأساس، ومن ثم سيطرة الإشكال العقلي على كل مفاصله بشكل حاد، في مقابل انعدام الإشكال النفسي بين النفس والجسم لأن النفس أصبحت صورة أو كمال للجسم الطبيعي العضوي، أي أصبحت كمالا له من حيث تعبير عن ماهيته وتبعا لذلك فقد اعتبر أن النفس والبدن أمران غير متغايرين"[2]، وعدم التغاير هذا يجعل النفس لا تفعل ولا تنفعل إلا بالجسم[3]، فالنفس تنقسم إلى ثلاثة قوى تفعل انطلاقا منها، وبما أن الإنسان فاعلا له إرادة، فإن إرادته تحتاج إلى العقل لكي تفعل عن روية واختيار، ومادام الأمر كذلك، فإنه من اللازم إذن أن ندرس نفسه ونحدد كيفية اشتغالها وكيفية تأثيرها وتأثرها مع الجسم، هذا الأمر هو الذي يدفع بامتداد النفس نحو الجانب العملي والمتمثل في الأخلاق، هاته الأخيرة بدورها سيتم استثمار نتائجها [4] في تأسيس مبحث السياسة[5]، بحيث الأولى(الأخلاق) تحدد المبادئ العامة والثانية (السياسة) تصرف هاته المبادئ في المدينة، يقول ابن رشد "ونسبة ما يفحص عنه في القسم الأول من هذا العلم إلى ما يفحص عنه في القسم الثاني، هي كنسبة كتاب الصحة والمرض إلى كتاب حفظ الصحة وإزالة المرض"[6] هكذا يتبن كيف أن الأمور متسلسلة عند ابن رشد في ما يخص بناء السياسة، والذي تطلب منه العودة بالضرورة إلى علم الطبيعة، وعلم النفس، والطب ثم إلى علم الأخلاق ، الذي بدوره سيتم استثمار نتائجه في علم السياسة يقول ابن رشد عن هاته العلاقة" و نسبة ما يفحص عنه في القسم الأول من العلم إلى ما يفحص عنه في القسم الثاني، هي كنسبة كتاب الصحة والمرض إلى كتاب حفظ الصحة وإزالة المرض في صناعة الطب. والقسم الأول من هذه الصناعة يتضمنه الكتاب المعروف ب" نيكوماخيا" لأرسطو، و الثاني يفحص عنه في كتابه المعروف ب"السياسة"، و أيضا في كتاب أفلاطون الذي نروم تلخيصه ...، ينبغي أن نذكر أمورا مما تبين في القسم الأول، لتكون أصلا نمهد به لما نريد أن نقوله هنا ابتداء، فنقول: قد تبين في القسم الأول من هذا العلم أن الكمالات الإنسانية هي في الجملة أربعة أنواع: فضائل نظرية (عقلية)، و فضائل علمية(فكرية)، و فضائل خلقية، وصنائع عملية، وأن هذه الكمالات كلها إنما هي من أجل النظرية وهي قدم لها، على نحو ما تقدم النتائج"[7].

لا يتوقف ابن رشد في رصد هاته العلاقة بين علم النفس والأخلاق والسياسة بل نجده في كثير من الأحيان يضرب الأمثال بالطب والحيوان داخل نصه، كما نجده يوظف كتاب البرهان وكتاب ما بعد الطبيعة كلما دعت الأمور إلى ذلك،

---

[1] لعيبي فريد، **رؤية ابن رشد السياسية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية،2011، ص66.

[2] لعيبي فريد، **رؤية ابن رشد السياسية**، نفس المصدر، ص 67.

[3] سامي محمود إبراهيم، **الفلسفة السياسية عند ابن رشد**، مجلة آداب الرافدين، العدد 59، سنة 2011/1432م.

[4] يقول ابن رشد"قد تبين في هذا القسم الأول من هذا العلم أن الكمالات الإنسانية هي في الجملة أربع أنواع: فضائل نظرية(عقلية)، و فضائل عملية(فكرية)، و فضائل خلقية، و صنائع عملية، و أن هذه الكمالات كلها إنما هي من أجل النظرية و هي مقدمة لها، على نحو ما تتقدم المقدمات النتائج" ابن رشد، **الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**، مصدر سابق، ص74.

[5] يورد الأستاذ شحلان أن ابن رشد ألف "مختصر السياسة أولا ثم أتبعه ب"مختصر الأخلاق" وروزانتال هو الأخر يؤكد أن ابن رشد يشير إلى كتاب السماع الطبيعي في أثناء تلخيصه لكتاب السياسة، و نستنتج من ذلك أن ابن رشد يستعمل نتائج علم توصل إليه دون أن يقوم بكتابة مختصر فيه، أنظر المرجع السابق، ص137.و ابن رشد، ت**لخيص السياسة**، مصدر سابق، ص42.

[6] ابن رشد، **الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**، نفس المصدر، ص 73.

[7] بن رشد، **الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**، نفس المصدر، نفس المصدر، ص 74.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام لغير التجارة بنسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

والسبب في ذلك هو إظهاره العلاقة الترابطية بين كل هاته التخصصات والوحدة القائمة بينها، هذا فيما يخص الجانب التأسيسي لعلم السياسة أما الجانب الثاني والمتمثل في بناء الخطاب السياسي بناء برهانيا فإن ابن رشد يؤكد منذ بداية مختصره أنه سيعمل على تجريد الأقاويل العلمية التي تحتاج إلى صورة منطقية لتغلفها، وهذه الصورة هي البرهان لهذا نجده في خدم النص يحيل على كتاب البرهان، لأن مقصده من تناول الظاهرة السياسة، تحويل التعامل معها من مستوى التعاطي الاتفاقي العرضي إلى مستوى التعاطي البرهاني، أي الارتقاء بالظاهرة السياسية إلى مصاف الظواهر التي تقبل الدراسة والتحليل، وبالتالي الرصد واستنتاج القوانين، ومن ثمة فتح السبيل أمام التحكم بها بحسب ما تقتضيه إرادة البشر[1]ذاتهم وليس إرادة خارجية عنهم.

بقيت مسألة أخيرة فيما يخص تأسيس العلم المدني وهي المتعلقة بتعريف الإنسان يقول ابن رشد" و أيضا تبين هناك أنه لا يمكن لإنسان واحد أن يحصل، من هذه الفضائل، على الفضيلة الخاصة التي ينفرد بها من غير أن يعاونه في ذلك أناس آخرون. أعني أن الإنسان يحتاج في حصوله على فضيلته إلى أناس غيره، ولذلك قيل بحق عن الإنسان: مدني بالطبع"[2] هذا التعريف الذي نجده عند ابن رشد يختلف عن ما قدمه أفلاطون في كتابه الجمهورية، حيث ذكر أن الدولة في نظر أفلاطون تنشأ عن عجز الفرد عن الاكتفاء بذاته وحاجته إلى أشياء لا حصر لها[3]، وهذا الأمر ينتج عنه أن لكل واحد من الأشخاص حاجته الخاصة به والتي يحتاج إلى من يساعده في تلبيتها، وبالتالي فكل واحد هو في حاجة إلى الآخرين كما هم في حاجة إليه فينشأ فيما بينهم تبادل الحاجات فتظهر الدولة ويصبح الإنسان جزءا من المدينة، على أساس أن لكل واحد منهم طباعه الخاصة والتي تحدد كذلك الفروق فيما بينهم، حيث كل واحد منهم يقوم بعمل واحد ووحيد موافق لطبيعته الخاصة، إن تمدن الإنسان عند أفلاطون هو وليد الحاجة الضرورية أي الحاجة البيولوجية والتي ستتمخض عنها حاجات أخرى ولدتها اللحظة التي يعيش فيها ، أما بالنسبة لابن رشد فتمدن الإنسان عنده رهين بكونه" حيوان ناطق"، يستخدم عقله بشقيه النظري والعملي معا، وبما أن المدينة من صنع العقل فكمال الإنسان هو كمال عقله، وكمال عقل الإنسان مرهون بكماله المدني، كما أن كماله المدني رهين بكماله العقلي الذي هو الآخر رهين بكماله الجسدي المتمثل في الصحة. غير أن ما يميز الكمال المدني هو افتقار الإنسان إلى الآخر وحاجاته إليه، مما يعني أن النقص هو الذي يحرك الإنسان الفردي لكي يتحول إلى إنسان جماعي يبني سياسة مدنية. ولما كان الكمال المدني مرادفا للكمال العقلي، أمكننا أن نستخلص بأن عقله هو الذي يحركه نحو استكمال غايته المدنية[4]، وليس النقص البيولوجي وحده كما ذهب إلى ذلك أفلاطون في الكتاب الثاني من الجمهورية

خلاصة:

نستنتج من خلال التحليل كيف أن ابن رشد عمل على التبيئة الفلسفية لمفهوم السياسية داخل النسق الفلسفي من جهة وداخل المجتمع العربي الإسلامي من جهة أخرى، متجاوزا بذلك الفقه الإسلامي الذي هو الآخر يدلي بدلوه في العلاقة ما بين الحاكم والمحكوم، غير أن ابن رشد كان هدفه ليس فقط تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، بل إنه اعتبر أن السياسة تكملة ضرورية لمفهوم الإنسان، ودواء طبي تحفظ له صحته، لأن الدولة تحافظ على الإنسان عبر جعله قادرا على بلوغ كماله النظري والعملي معا، كما تحارب كل ما يمكن أن يدمره، لهذا كانت الفلسفة السياسية في الغرب الإسلامي عموما فلسفة إنسية واقعية تختلف عن الفلسفة السياسية في المشرق التي كانت ميتافيزيقية مثالية.

---

[1] العليبي فريد، **رؤية ابن رشد السياسية**، مرجع سابق، ص55.

[2] ابن رشد، **الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**، نفس المصدر، ص 74.

[3] أفلاطون، **الجمهورية**، مصدر سابق، ص 225.

[4] مصباحي محمد ، **مع ابن رشد**، دار تبقال للنشر،، الطبعة الأولى، 2007، ص 70.

© المؤلفون. مرخّص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري بنسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المراجع والمصادر:

- مصباحي محمد ،**مع ابن رشد**، دار تبقاللنشر،، الطبعة الأولى، 2007.
- ابن رشد، **الضروري في السياسة مختصر كتاب السياسة لأفلاطون**، نقله عن العبرية إلى العربية الدكتور أحمد شحلان، مع مدخل و مقدمة تحليلية للمشرف على المشروع الدكتور محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الرابعة 2015.
- مساعد محمد، **المستدرك على المتن الرشدي**، دفاتر مختبر الفاعليات الفلسفية والاجتماعية والثقافية، مطبعةمرجان ، مكناس، العدد 3، 2017.
- أفلاطون، **الجمهورية**، دراسة و ترجمة فؤاد زكرياء، دار الوفاء لدنيا الطبع و النشر، 2004.
- ابن رشد، **تلخيص أخلاق أرسطو(الأخلاق إلى نيقوماخوس)**، ترجمه من العبرية وحقق نصه وقابله بالأصل الإغريقي أحمد شحلان، مطبعةGraphoPub، الرباط، الطبعة الأولى، 2018.
- ابن رشد، **تلخيص السياسة لأفلاطون "محاورة الجمهورية"**، نقله إلى العربية حسن مجيد العبيدي وفاطمة كاظم الذهبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1998.
- لعيبي فريد، **رؤية ابن رشد السياسية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 2011.
- الحداد عزيز، **ابن رشد وإشكالية الفلسفة الإسلامية في الإسلام**، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2010.
- Benmakhlouf Ali, Averroés, éd Perrin, Paris, 2009.

© المؤلفون. مرخّصبموجب(CC BY-NC 4.0) Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 —يُسمحبإعادةالاستخدامغيرالتجاريبعنسبةالمصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/